حرف الزاى

* * *

١٤٤ - زيدان أبو المعالى ابن السلطان أبى العباس أحمد المنصور الذهبى فخر الملوك السعديين.

حاله: فقيه علامة مشارك متضلع نقاد شهم، أديب بارع، شجاع عالم بمكايد الحروب وخدعها، ذو مروءة ومتانة، دين جامع لخصال الفضل والكمال، ولكنه غير محظوظ ولا متوقف فى الدماء ولا مبال بالعظائم، كثير المراء والمجادلة استخلفه والده على مكناس وتدلا وأحوازها فأحسن السيرة قال ابن القاضى فى الدرة: «ولاه والده أبقاه الله تعالى مكناسة وهو أميرها فى هذا العصر أعنى بعصر تسع وتسعين وتسعمائة»(١).

ولما توفى والده اجتمع أهل الحل والربط من أعيان فاس والجمهور من جيوش والده على بيعته محتجين بأن والده استخلفه قيد حياته ومات فى حجره، وكان ممن تصدى لبيعته قاضى الجماعة بلقاسم بن أبى النعيم، والقاضى أبو الحسن على بن عمران السلاسى، والأستاذ أبو محمد الشاوى، والإمام النظار أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار، وكان الذى قام خطيبا فى القوم القاضى ابن أبى النعيم قال فيما ألقاه: أما بعد السلام عليكم، فإن رسول الله ﷺ لما مات اجتمع الناس على أبى بكر، ونحن قد مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا زيدان أولى بالملك من إخوته، فبايعه الحاضرون وذلك يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة وألف.

---

١٤٤ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٢٧٧، وموسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٢٨٣.

(١) درة الحجال ١/ ٢٧٨.

ولما اتصل بأهل مـراكش وفاة المـنصور وكـتب إليهم أهـل فاس بمبـايعتـهم للمتـرجم امتنعوا وبايعوا أخـاه أبا فارس وذلك يوم الجمعـة أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة.

ثم لما تمت البيـعة الشرعيـة للمترجم بفاس بارحـها ووجهته الـبلاد الحوزية لعلمه بما صـدر من أهلها من شق عصا الطاعـة، وإباية الدخول فيمـا دخلت فيه الجماعة.

ولما علم أبو فارس بذلك جهز لقتاله جيشا عرمرمًا جرارًا وألقى زمام رياسته لأخيـه المأمون هكذا قال بعـضهم، والذى فى نزهة الحادى أن أبا فـارس أمر على الجيش ولده عبد المالك مع الباشا جؤذر، ثم إن بعض أهل الرأى من حاشيته أشار عليه بتسريح أخيـه الشيخ وإسناد قيادة الجيوش إليه لمحبة الرعيـة فيه ولميلها له فلا يقاومونه ولا يقابلونه إلا بالسمع والطاعة، لأنه كان الخليفة عندهم.

فاستـحسن الإشارة، وسرح الـشيخ وأخذ عليه العـهود والمواثيق على إبداء النصح وعدم شق العصا، ثم أوعز أبو فارس لخـاصته من رؤساء الجيوش بالقبض على الشيخ إذا وقعت الكرة على المترجم، وانهـزمت جيوشه، والشيخ لا يعلم بما دس له، فخرج يزحف فى جيوشـه إلى أن التقى الجمعان بوادى أم الربيع بالموضع المعروف بحـواتة، فكان النصر لجيـوش أبى فارس وانهزم المتـرجم بسبب ما لحـقه وجنوده من الحنو والحنان رعيـا لسالف عهده ووثوق رابطة إخـائه وإخلاص وداده القديم، ورجع القهقـرى إلى فاس وتحصن بها فاقتفـى أثره الشيخ إذ لم يقدر أحد من أصحاب أبى فارس له على شىء.

ولما اتصل الخبـر بالمترجم راود أهل فاس على القيـام معه فى الحصـار فأبوا وشقوا عصا الطاعة فى وجهه، وأعلنوا بنصر الشيخ والبيعة له، فخرج المترجم فى جيشـه وأثقاله إلى تلمسان فأقـام بها مدة، وبعث لترك الجزائر يـستنصر بهم على

إخوته، ولما يئس من نصرتهم ذهب لسجلماسة فدخلها من غير قتال، ثم انتقل منها إلى درعة، ثم لسوس فكتب إليه أهل مراكش يستقدمونه ولو وحده فقدم عليهم ليلا فأعلنوا بنصره، وقتلوا عبد الله أعراس عامل الشيخ وشبت حروب.

ثم لما اتصل الخبر بالشيخ بفاس اهتم لذلك واغتاظ، وصار يضرب الأخماس فى الأسداس، وأخذت الأنفة والحمية أهل فاس لما وقع بإخوانهم الذين كانوا بمراكش، فتعصبوا للشيخ وتحزبوا وتطوعوا بالمقاتلة، ولما رأى ذلك الشيخ هيأ ولده عبد الله وعقد له على جيش لا يستهان به، فخرج قاصداً مراكش.

ولما بلغ الخبر زيدان وجه الباشا مصطفى بجيوش جرارة، ولما التقى الجمعان وقعت الكرة عليه، وقتل من جيشه نحو التسعة آلاف، وذلك بموضع يقال له تفلفلت على طريق سلا.

ثم توجه عبد الله فى جيشه لمراكش منصوراً، فخرج إليه أهلها فى ستة وثلاثين ألف مقاتل فالتقى الجمعان أيضا بموضع يقال له رأس العين فهزم أهل مراكش، ودخل البلد عنوة، ففر المترجم إلى المعاقل وشواهق الجبال وفعل عبد الله فى مراكش أفعالا فظيعة، أنتجت له حنق الأمة عليه، وشق عصا الطاعة فى وجهه فخرج من مراكش مهزوما مكسور الشوكة، وكتب أهل مراكش للمترجم يستقدمونه فقدم عليهم وقابل المسيئين بالإحسان وذلك آخر شوال عام ثمانية عشر وألف.

ثم بعث الباشا مصطفى لفاس وخيمت محلته بظاهر الزاوية واستولى على زروع أصحاب المأمون وفرقها فى أصحابه.

وفى عام تسعة عشر وألف انتهز صاحب الترجمة الفرصة فاحتل مدينة تازا، وبعث قائده عبد الصمد لتسكين روعة أهل فاس والإعلان بنصره، ولما أمر بالنداء

بذلك قام فى وجهه بعض لصوص العدوة وجرحه فكثر الهرج والمرج وخاب مسعاه، ولما بلغ المترجم الخبر اشتد غيظه ونهض من تازا، وخيم على ضفة وادى فاس واستولى عليها وسَبَى[1] أهلها وجذع بل همّ بقتلهم ولكن الله عصم دماءهم.

وفى حادى عشر رجب من العام نزل عبد الله برأس المال، فخرج إليه صاحب الترجمة فهزم ومات من جنده نحو الخمسمائة،ولحق بمحلة كانت له بالدلاء، ودخل عبد الله فاسا.

ثم ثار أبو العباس أحمد بن أبى محلى الساورى وكان فى أول أمره فقيها صرفا ثم انتحل التصوف، وصار يصرح بأنه المهدى المنتظر، ثم دعا لنفسه وزعم أن السبب الداعى له لذلك تفاقم البدع وتكاثر المناكر وأنه بصدد الجهاد شأن كل ثائر فتان، فاستخف أفئدة العوام، إلى أن كان من أمره ما هو مسطور فى بطون التواريخ، فخرج على عامل المترجم على سجلماسة الحاج المير فهزمه ودخل سجلماسة.

ولما بلغت الهزيمة صاحب الترجمة عقد لأخيه عبد الله المدعو الزبدة على جيش جرار فلما علم به أبو محلى سار لدرعة وبها لحق به عبد الله، ولما التقى الجمعان كانت الهزيمة على جيوش صاحب الترجمة، وقويت شوكة أبى محل وملأت مهابته القلوب، وشاركت فى طاعته سجلماسة ودرعة ثم تشوفت نفسه لاحتلال مراكش فتوجه إليها.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة وجه جيشا للقائه فهزم الجيش وفر زيدان لآسفى، وهم بالعبور لبلاد العدوة ودخل أبو محلى مراكش.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «وسب أهلها».

ولما رأى المترجم من فشل ريحه ما أرى وعلم أنه لا طاقة له بمقاومة أبى محلى كتب للفقيه أبى زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد الحاجى ثم الداودى يستغيث به وهو بزاوية أبيه من جبل درن، وكان فى جملة ما كتب له: إن بيعتى فى أعناقكم وأنا بين أظهركم فيجب عليكم الذب عنى ومقاتلة من ناوأنى، فلبى أبو زكرياء نداءه وكانت له شهرة عظيمة بالقطر السوسى، فحشد الجنود من كل فوج، وخرج يؤم مراكش وذلك فى ثامن رمضان عام اثنين وعشرين وألف، ولما بلغ يمين فم تنت موضع على مرحلتين من مراكش كتب إليه أبو محلى ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد بن عبد الله إلى يحيى بن عبد الله بلغنى أنك جندت وبندت، وفى يمين تنوت نزلت، اهبط إلى الوطا لينكشف بينى وبينك الغطا، فالذيب ختال، والأسد جوال، والأيام لا تستقام، إلا بضرب القنا وقطع الحسام والسلام».

فأجابه بما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من يحيى بن عبد الله إلى أحمد بن عبد الله، أما بعد:

فليست الأيام لى ولك إنما هى للملك العلام، وقد أتيت لك بأهل البنادق الأحرار، من الشبانة ومن انتمى إليهم إلى بنى جرار، وأهل الشرور والبؤس، من هشتوكة إلى بنى كنسوس، فالوعد بينى وبينك جائز هناك حيث ينتقم الله من الظالم، ويتبين الذليل من العزيز والسلام».

ثم زحف يحيى لمراكش إلى أن نزل قرب جبل جليز المطل على مراكش فشب القتال وكانت أول رصاصة فى نحر أبى محلى فمزقت جنوده كل ممزق، ونهبت محلته وقطع رأسه وعلق فى رءوس من أصحابه على سور المدينة نحوا من

اثنتى عشرة سنة، وحملت جثته فدفنت بروضة أبى العباس السبتى تحت المكتب المعلق هنالك على المسجد الجامع، وقد رمز لقتل أبى محلى وموته أبو العباس أحمد المديد المراكشى بقوله: (أقام طيشا، ومات كبشا) وهو من بديع التلميح وحسن التورية.

قال صاحب نزهة الحادى: زعم أصحابه أنه لم يمت، وحدثنى من أثق به أن أهل وادى الساورة إلى الآن فيهم من هو على هذا الاعتقاد.

ولما قتل أبو محلى دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة وألقى بها عصا تسياره، ورام أن يتخذها دار قراره، فكتب له المترجم قائلا: إن كنت جئت لنصرتى وكف يد ذلك الثائر عنى فقد أبلغت المراد، وشفيت الفؤاد، وإن كنت رمت جر النار لقرصك، وتجعل الملك من قنصك، فأقر الله عينك به، فتجهز يحيى للرجوع لوطنه وأظهر العفة عن الملك، وأنه إنما جاء ليدافع عن الملك الذى بيعته فى عنقه، وانقلب لبلاده ورجع صاحب الترجمة لمراكش:

مؤلفاته: منها تفسير القرآن المجيد اعتمد فيه على ابن عطية والكشاف.

شعره: من ذلك قوله:

أهلكتنا سوالف وخدود وعيون مدعجات رقود

ووجوه يبارك الله فيها وشعور على المناكب سود

أهلكتنا الظبا ونحن أذلة وخضعنا لها ونحن أسود

وقوله:

مررت بقبر رائق وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بذلة ترحم عليه إنه قبر عاشق

وفاته: توفى فى المحـرم فتح سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بجنب قـبر أبيه بروضتهم الشـهيرة بالحاضرة المراكشيـة، قرأت فى نقش رخامة قبره رحـمه الله ما لفظه:

هذا ضـريح من به تفـتخـر المفاخـر زيدان سـبط أحـمـد مـبـتكر المآثر

حـامى حمـى الدين بكل ذابل وباتر أجل من خاض الوغى وللأعادى باهر

لازال صوب رحـمة الله عليـه ماطر ومن شـذا رضوانه نفـحة كل عـاطر

أرخ وفـاة من غدا جـارا لرب غافـر بمقعد الصدق عـلا أبو المعالى الناصر

١٤٥ - زين العابدين السلطان بن السلطان مولانا إسماعيل الجد الأعظم.

حاله: فاضل زكى صبور حليم، راضى بما قدره الرحمن له، قال عنه رفيقه الإمام الثبت أبو العلاء إدريس بن محمد فـتحا العراقى لما آب من رحلته معه لأداء فريضة الحج فيـما تلقاه منه ونقله عنه ابن عمه الشريف العـلامة مولاى الوليد بن العربى العراقى فى مؤلف له ونصه:

كان لمولاى زيـن العابدين، عـقل رصين وكان مـعتنيـا بدينه محـافظا على الصلاة فى وقتها، وأنه منذ خرج من هنا إلى أن رجع ما تيمم قط، بل يتوضأ لكل صلاة من السـفر، وشدة الحـر والقر، وكان ذا خلق حسن، وسـمت مستـحسن، محبا لجانب الله تعالى، ومعظما لحرمته ذا همة علية، ونفس أبية.

اشترى جنانـا بالمدينة المنورة على منورها الصلاة والسلام وحبـسه، وهو من نخـبة أولاد مـولانا إسمـاعيل رحـمه الله، فلـذلك اختـاره للبعث لذلك المقـام الشريف، قـال: وإن السلطان مولانا إسـماعيل وجـه العراقى المذكور برفـقة ولده يعنى المتـرجم للحـج بعـد أن آخى بينهـمـا وعاهدهمـا وقـال لوالده: هات يدك وللشريف كـذلك، وشبكهـما وجعـل يده فوق يديهمـا وقال هذا عـهدك، وهذا

ولدى، وأنت ولدى وأوصاهما بما يجب من حسن المعاشـرة والقيام بالحقوق،ودفع للمولى إدريس ياقوتة عظيمة يبلغها للروضة الكريمه على صاحبها الصلاة والسلام لتعلق هناك، وقـد رأيتها فـما رأيت مثلهـا فى الصفاء والكبـر وزنها رطل وست أواقى، وعليهـا شباك من ذهب مـرصع باليواقيت،وجعل لهـا سلسلة لعلاقتـها، وجعـلت فى صندوق من الذهب سترة لها أهديت إليـه من بلاد النصـارى، وقد قومت بأربعة وعشرين قنطارا من المال فوصلت وعلقت هنالك.

وكان لما سـافر مرة أخرى قـيل أعطاه ياقوتة وهى أصغـر من الأولى قومت بأربعة عشر قنطاراً فى كل قنطار ألف مثقال، وهمـا للآن معلقتان بالروضة المباركة هـ ملفقا.

وقد كان المترجم عند موت والده مستـقرا بسجلماسة، ثم لما قامت الفوضى بين العبـيد وإخوته وامتدت أطنابهـا واشتدت شوكـة العبيد وكـثر الهرج والمرج، ولاسيما بين الإخـوة المولى عبد الله والمولى المستضىء، وأبى عبـد الله محمد بن عـريبة على مـا سيـمر بك فى تراجـمهـم إن شاء الله قـدم المترجم لمكناسـة من سـجلماسـة زائرًا لا طامـعـا فى الرياسة فلـما حل بمكناسـة اتفق أن كـان الدور للمسـتضىء، فألقـى عليه القبض وأودعـه السجن ثمانـية أشهـر على ما فى الدر المنتخب، ثم أخرجه للمشور وأوجعه ضـربا أشرف به على التلف فصبر واحتسب ولم ينطق ببنت شفة، ثم رده للسجن ثـم أمر بإخراجه وتوجيهه مقيـداً لسجلماسة مع بعض المساجين من الأشراف للسجن بها.

فلما بلغ الخبـر العبيد وجهـوا من اقتفى أثره ليرده، فلحق به لصـفرو فأزال قيده ووجـه به لبنى يازغة للجلوس عند القائد أحـمد القعيدى، وأوصـاه به خيراً فأكرم وفـادته وأنزله منزلا رحبا ولم يزل عنده محل إجـلال وتكريم إلى أن أعزل المستضىء، وبويع المـولى عبد الله ببيعتـه الثانية ففرح المتـرجم وابتهج بخلع الأول

وبيعة الثـانى، وذهب من بنى يازغة لفاس وبقى به مدة ثم فى ثالث عشـرى قعدة عام اثنين وخمسين ومائة وألف ذهب لمكناسة وبقى بها مدة، ثم ذهب إلى طنجة، وأقام عند الباشا أحمد الريفى فى شفوف مكانة.

وكان الباشا أحمد يعلم أن ذلك لا يستقر له وأنه لا بد له من شريف يستند إليه، وكان لا يـحب مولاى عبد الله لسـابق منافرة تقدمت بينهمـا أدت إلى قتل مـولاى عبـد الله من أتاه من أصحـاب القـائد المذكورة فـسارع الريفى إلى نصـر المترجم، وبايعـه العبيـد الذين كانوا معـه على وفاق واتفقـوا على قبض السلطان مولاى عبد الله وقتله فأوعز إليه بعـضهم ما وقع تظافرهم عليه، فوجه لأمه خناثة بنت بكار فهربـت لفاس الجديد ولما أصبح تبعـها هو إلى أن نزل برأس الماء ثم إن العبيد كتبوا للباشا أحمد ووجـهوا له جريدة من الخيل لتشييع المترجم وخفارته إلى أن يحل بدار ملك أبيه ويتـسنم أريكته، فأحضـر الباشا المذكور القضـاة من مدينة تطوان وطنجة والعـرايش والقصر وشـفشاون والعلمـاء وأعيان القبـائل الفحصـية والحياينة فى يوم مشهود، وعرض عليـهم بيعة المترجم فبايعوه، وذلك فى أول يوم من ربيع الأول عام ثمانيـة وخمسين ومائة وألف ووصل الباشـا الأشراف والعلماء والأيتام والأرامل الضـعاف والجـيوش بصلات سنـية،ووجه لعـبيد مـكناسة أهل الديوان حظهم من ذلك بمناسبة بيعة المترجم ثم توجه قاصداً مكناسة دار ملك أبيه فيمن جاء لخفارته وغيرهم من فرسان العبيد.

ولما دخلها حضر القاضى والفقـهاء والأشراف وأهل الحل والإبرام من العبيد وبايعوه البيعة العامة وكتبوا ببيعته للآفاق ووفدت إليه الوفود من الحواضر والبوادى ما عدا الودايا وأهل فاس فـإنهم كانوا شيعة مولاى عبـد الله وكان دخوله لمكناس وجلوسه على أريكة الملك بهـا يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الثانى أحـد شهور العام المذكور، ثم لما اتصل الخبر بذلك لمولاى عبد الله فر من رأس الماء إلى الجبال

البـربرية وذلك يوم الثلاثـاء تاسع جمـادى الثانيـة، وأقـام عندهم، أما صـاحب الترجمة فـقد أمر قواده ورءوس ديوانه بجمع الحركة لفاس فى تأخـرهم عن بيعته هم والودايا، فـامتثلوا أوامـره وهيئـوا الحركة وخـيمـوا بها على مكناسـة الزيتون يترقبون ما يصدر لهم من الأوامر، وفى منتصف جمادى الأولى خرج المترجم من مكناسة قـاصداً حصار فـاس فنزل بسيدى عـميرة فى جيـوش جرارة، وذلك يوم الثلاثاء الذى فر فيه أخوه مولاى عبد الله للبربر.

ومن الغـد خيم بظاهر فـاس ووقع الحرب علـى باب المسافـرين بقنطرة ابن طاطوا، ودام القتال من الضحى إلى الزوال، واشتد الحال وعظمت الأهوال،وبقى الودايا وأهل فاس يموج بعضهم فى بعض، وبات الناس فى شدة عظيمة.

ومن الغد اخـتلفت كلمة العـبيد ووقع بينهم التنـازع الذى هو أصل الفشل والسبب فى ذهاب ريح النجح والفلاح، ورجعـوا بالمترجم لمكناس بعد ان أحرقوا نوادر الودايا بالخمـيس، ولما حلت محلتـهم بمكناسة عاثت ونـهبت الأجنة وأكلت الثمـار، وسعت فى الأرض الفسـاد، وفى ضحوة يوم الخـميس خامس عـشرى، جمادى المذكور رجع مولاى عبد الله من البربر، ودخل فاسا الجديد، فتلقاه أهلها والودايا بالترحاب والفرح المزيد، ومن يومه خرج لدار الدبيبغ وأقام بها، أما العبيد فقد ذهبـوا لمشرع الرملة، وأقام المترجم بمكنـاسة ألعوبة بين يدى عبيـدها تعبث به كـيف شاءت لا حـول له ولا قـوة ولا قدرة على حـل أو إبرام دون مشـورتهم، والوقوف عند تنفيذ أوامرهم.

ولما جـاءوا على ما كـان بيده من المال بالخـزائن ولم يبق لهم مـال ينهبـونه صمـموا على عزلـه ومبايعـة أخيه لما كـان لديه من الأموال وألفـوه منه من البذل إليهم، وفى ثالث عـشر رمضان عـام أربعة وخمـسين ومائة وألف صرحـوا بعزله

فبارح البلاد ناجيا بنفسه، وكانت مدة دولته نحو الخمسة أشهر نظرًا لكون بيعته لم تتم إلا بعد حلوله مكناسة مستقر عرش مملكة أبيه.

بناءاته: لم يحفظ التاريخ منها غير الباب الواقع فى جنوب بطحاء الهديم مشهور النسبة إليه لحد الآن، لا يعرف بغير باب زين العابدين اتصل بهذا الباب بين البطحاء المذكورة ومدينة الرياض العنبرى السالفة الذكر فيما قدمناه من البناءات الإسماعيلية تلك المدينة العظيمة الشأن التى كان أسسها والده لصدور دولته وعظماء مملكته التى أحدث فيها الآن بناء دور اليهود وأعطى اسم الملاح.

١٤٦ - زكرياء الفران أبو يحيى:

حاله: فقيه صابر، منور الظاهر والباطن، مواظب على تلاوة القرآن، من رجال مكناسة الزيتون، وفضلاء خيار عبادها، حسن اللقاء، كثير البشاشة، مسترسل الطلاقة والبشر، دائم القبول، متصل اللهجة، جميل التعطف، واسع الصدر على سجية أهل الفضل والدين أمثاله، يحدث عن سيره فى عبادته واجتهاداته وتصرفه وورعه فى كسبه وتحفظه على أمر دينه من باشره ما تقر به أعين الأولياء، ويعز وجوده فى زمانه، وكذلك كثر التحدث على إيثاره غيره على نفسه بما يكون لديه، وعن اشتغاله بطهارة قلبه وعما ظهر على محله من علامة توفيقه، والله تعالى يمن على من يشاء من عباده بفضله ورحمته. قال الحضرمى فى غالب الظن: إنه من أهل القرن الثامن من العشرة السابعة منه.

١٤٧ـ زيدان أبو محمد سيدنا الجد ابن فخر الملوك العظام، مولاة إسماعيل ابن الشريف بن على الحسنى السجلماسى.

حاله: بطل شجاع مقدام قوى الجنان أعرف بنى أبيه بالكر والفر، وأمهرهم فروسة، ذو نجدة وجد وحزم وعزم وهمة أبية، ونفس علية، وأخلاق حميدة

مرضـية، وشفـقة وحنان، وميل لجـانب الله، محب فى الصالحـين، موال لهم، منحاش لأهل الفضل والدين، صلب فى دينه، مؤتمر بأوامر والده.

ولما بلغ أشده وظهرت نجابته استخلفـه والده على مكناس كما فى الترجمان المعرب، وقيل: إنه اسـتخلفه بفاس، والأول أصح وذلك عـام اثنين ومائة وألف، وعقد له على جـيش أهل فاس، ووجهه إلى الترك حيث بلغـه أنهم تعدوا الحدود وأضروا بالمجاورين لهم من إيالته المغـربية، ثم بدا لوالده اللحوق به فلحق بأطراف المغرب الأوسط، وأبرم الصلح مع الأتراك ورجع لحضرته السلطانية.

وقيل: إن الذى تولى عـقد الصلح مع الأتراك هو أبو عـبد الله محـمد بن الطيب الفاسى اخـتاره السلطان المولى إسماعيل لقـضاء هذه المهمة لعلمـه وحذقه ونباهته، وفى ربيـع سنة ست ومائة وألف خرج المترجم فى عـسكر جرار تتلاطم أموجه إلى ناحيـة تلمسان، بعد أن قتل النائب بفاس أبا العبـاس أحمد السلاوى، فقاتل الترك ونال منهم، ورجع وفى سنة إحـدى عشرة ومائة وألف نقل من ولاية مكناسة كما فى الترجمان.

وولى على بلاد الشـرك، فكان يغـير على بـلاد الترك إلى أن شـردهم عن نواحى تلمسان أخـذًا بالثار منهم، وانتهى فى بعض أيام غاراته إلى مـدينة معسكر فاقتحـمها واستولى على دار أميرها عـثمان باى وأخذ جميع ما فـيها من الذخائر والأمتعة، وعثمـان إذ ذاك غائب فلم يرض ذلك والده للصلح الذى كان أبرمه مع السلطان مصطفى العـثمانى، ولذلك عـزله عن البلاد الشركيـة، وولى مكانه أخاه المولى حفيد.

وفى سنة ثلاث عشـرة ومائة وألف عين مـن قبل والده خليفـة على فاس، وبعث معه حمدون الروسى عاملا عليها.

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف وجهه والده لقتال أخيه الولى محمد العالم الذى ثار بالبلاد السوسية ودعا لنفسه واقتحم مراكش ودخلها عنوة، فسار فى عساكر ذات بال، ولما وصل مراكش وجد المولى محمداً بارحها وعاد لتارودانت، فاقتفى أثره إلى أن خيم على تارودانت وشبت الحرب بينهما ودامت وتسعرت نيرانها إلى أن كان الظفر للمترجم، فاستولى على تارودانت وقبض على أخيه المولى محمد ووجهه لوالده ومكث خليفة بتارودانت إلى أن وافته منيته فيها.

شعره: من ذلك قوله حسبما نسبه له العلامة الثبت مولاى عبد السلام بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان الجليل ومن خطه نقلت:

لم أنس يوما زارنى قمرى ... فكمل الأنس به إذ جلس
قبلت منه الخد مختلسا ... وإنما العيش الشهى خلس
وملت للثغر على غرة ... منه فما أطيب ذاك اللعس
فجادلى بالريق حيث درى ... أنى عليل لا أطيق النفس
وبت نشوانا بعافية ... أغتنم الفرصة عند الغلس

وقوله:

أتتك على رغم الرقيب حمائلى ... وهى بأسباب الوصال وسائلى
فدونك فاختر ما يزينك لونه ... وزرنى ولا يشغلك عذل العواذل
على أن سيف اللحظ أمضى من الذى ... أتاك فكن يامنيتى خير واصل

وفاته: توفى بتارودانت عام تسعة عشر ومائة وألف،وحمل فى تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا إلى جنب أخيه المولى محمد العالم، هكذا قال الزيانى ومن تبعه، وعندى أن ذلك وهم لا يكاد يصح إذ فى سنة سبع وثلاثين كان لازال حيا يرزق قطعا فى منتصف رمضان منه.

إذ فى التـاريخ المذكور أوقع والده السلطان مـولانا إسمـاعيل مـحالفـة بين المترجم وبين أخيه مولاى أحمد الذهبى، وعقد المحالفة والمؤاخاه عندى شهد عليه على إشهاد والدهما، وهو بكرسى ملكه، وعلى أبى العباس الذهبى المذكور بما فيه عنه العدول والفقهاء والـقضاة فمنهم عبد الله تعالى الشريف بن أحـمد بن محمد ابن عمر الحسنى، وأبو العباس أحمد بن سعـيد العميرى، وأبو عبد الله محمد بن ذكرى وأبو القـاسم بن سعيـد العميـرى، وأبو الحسن على بن سعـيد العمـيرى، ومحمد بن الشرقى فى آخرين.

***

obeikandl.com